المحاضرة السادسة

مقدمة

إذا وضعنا كافة الظروف التاريخية التي مرت بها الأسرة أمام ناظرينا، فإننا سوف ندرك مباشرة وبكل وضوح أن تطور الأسرة والمجتمع لم يتم أبداً بشكل عشوائي أو عفوي. وإنما كان ومازال يخضع لقواعد وأصول عامة، يمكننا أن نتعرف عليها ونضع أيدينا عليها . ولما كان المجتمع الإنساني يحفل بصور شتى من التنوع في جوانب حياته الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والدينية والثقافية . فإنه من المنطقي أن نتوقع إزاء ذلك تنوع أنماط الأسر الإنسانية بصفة عامة . كما أنه سوف يتعين علينا أن نسأل أنفسنا :

ما هي الأمور والجوانب التي تتغير في حياة الأسرة (أو القابلة للتغير)؟

وما هي الأمور التي تتصف بقدر من الثبات والاستقرار)؟

على أننا يجب أن نتفق بادىء ذي بدء على أننا لا ننوي أن نقدم عرضاً لكافة أنماط الأسرة في مراحل تطورها المختلفة وفي ظل الظروف الإجتماعية المتفرعة . فتلك دراسة يجب أن يتولاها باحث في تاريخ الأسرة يوقف جهده عليها وحدها لكي يتتبع مراحل تطورها وتنوع أشكالها منذ أقدم العصور وحتى العصر الحاضر . أما نحن فسوف نقصر اهتمامنا على أنماط الأسرة الشائعة أو المعروفة في العصر الحاضر فقط ، على أساس أن دراستنا كلها تدور حول الأسرة في المجتمع المعاصر .

أولا : تنوع أنماط الأسرة في العصر الحاضر:

فيما يتعلق بتنوع أنماط الأسرة في العصر الحاضر، يجب أن نتفق في البداية على تقرير ملاحظتين أساسيتين :

الأولى : أنه لا يوجد مجتمع (ذو حجم معقول) على وجه هذه الأرض يقتصر على نمط واحد فقط من الأسر لا يعرف سواه، فكل مجتمع يعرف في نفس الوقت أكثر من نمط من أنماط الأسرة .

الثانية : أن كل نمط من أنماط المجتمعات القائمة في عالم اليوم لديه نمط معين سائد من أنماط الأسرة، على حين تعد الأنماط الأخرى الموجودة أنماط فرعية أو ثانوية .

فإذا قسمنا المجتمعات القائمة في عالم اليوم إلى ثلاثة أنماط رئيسية على النحو التالي :

١- المجتمعات الصناعية الرأسمالية (الغربية).

٢- المجتمعات الصناعية الاشتراكية (الشرقية) .

٣- مجتمعات العالم الثالث .

إذا اتفقنا على هذا التقسيم الثلاثي فإننا سنلاحظ أن كل نوع من تلك الأنواع يعرف نمط أسرياً رئيسياً إلى جانب طائفة من الأنماط الأسرية الفرعية . ولكن يجب أن نلاحظ أن بلاد العالم الثالث تتميز بقدر من التنوع فيما بينها يفوق بكثير التنوع الموجود داخل كل نوع من النوعين الأولين، بل أنه يفوق في كثير من الأحيان التنوع الموجود بين المجتمعات الغربية والشرقية، بحيث أننا نجد البعض يميل إلى تصنيف المجتمعات القائمة في عالم اليوم إلى نوعين فقط بدلاً من ثلاثة : المجتمعات الصناعية (المتقدمة) ومجتمعات العالم الثالث (النامية) ولكننا لن نأخذ بوجهة النظر هذه لأسباب سوف تتضح في ثنايا الكلام. فالأسر (بمختلف أنماطها) الموجودة في المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية تختلف اختلافاً بعيداً عن الأسرة الهندوكية أو

الأسرة اليابانية. وهي تختلف كذلك عن الأسرة في المجتمعات العربية، وعن الأسرة في الثقافات الإفريقية السوداء وفي بلاد أمريكا اللاتينية

- ومع ذلك فإننا لا يمكن أن نجد نمطاً موحداً من الأسرة في أي مجتمع على الأرض، أعني أنه لا يمكن أن يكون هناك نمط مسيطر في كل أرجاء المجتمع. وإنما هناك تنوع حسب المناطق الجغرافية داخل كل مجتمع، وهناك تنوع حسب البناء الطبقي الاجتماعي داخل كل مجتمع. ومن أبرز مظاهر التفاوت بين أنماط الأسرة ذلك التناقض الموجود في كل المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على السواء (باستثناء المجتمعات الاشتراكية) بين الريف والحضر. إذا نجد أن النمط الأسري السائد في أغلب مدن العالم هو الأسرة النووية بأشكالها الحديثة المختلفة (التي سنفصل فيها الكلام فيما بعد).

- على حين توجد في المناطق الريفية الأنماط الأسرية، الأقدم عهداً. وإن كانت تجدر الإشارة إلى أن تقدم التصنيع الزراعي واستخدام الأساليب التكنولوجية المتقدمة في الزراعة، وكذلك زيادة انتشار وسائل الاتصال الجماهيري في الريف سوف يعمل على تضييق الهوة بين الريف والمدينة، وتحقيق نوع من التجانس والتقارب في أنماط الأسرة هنا وهناك. ولذلك نتوقع أن يخف التناقض بين الريف والمدينة بمرور الوقت وتقدم جهود التنمية لتشمل رقعة المجتمع كلها بشكل متقارب .

ويختلف الموقف عن ذلك في البلاد الاشتراكية، حيث أدى سيطرة الاتجاهات الجماعية في العمل الزراعي إلى القضاء على كافة الأشكال التقليدية من الأسرة دفعة واحدة وفي فترة زمنية وجيزة. وظهر نمط جديد من التنظيم الجماعي (في المزارع الجماعية) الذي يقوم على صورة معينة معدلة من الأسرة النووية . ولم يعد هذا التنظيم الاجتماعي الاقتصادي مكان للأشكال القديمة السابقة على عصر التصنيع أو بالأحرى السابقة على عصر الثورة الاشتراكية

- وإذا انتقلنا إلى مسرح الحياة في المدينة المعاصرة، فسنجد الصورة تتسم كذلك بقدر ملحوظ من التنوع النسبي . يتجلى هذا التنوع أولاً وأساساً في اختلاف أنماط الأسرة السائدة في الطبقات الاجتماعية المختلفة . ويتجلى بعد هذا في التنوع الأسري في القطاعات المهنية المختلفة، إذ لا شك ان الإطار الاقتصادي لحياة رب الأسرة والأفراد الذين يساهمون في اعالتها يؤثر بشكل مباشر في نمط هذه الأسرة.

- وتبدو تلك التغيرات والتنوعات بأوضح أشكالها إذا ألقينا نظرة على الأسرة في مدن البلاد النامية . فتلك المؤسسة الإجتماعية تعاني من أكثر التغيرات الثقافية والإجتماعية حدة وعنفاً . حيث نجد أن المهاجر بمغادرته لتربيته أو بيئته الريفية واتجاهه إلى المدينة يهجر بيئة كان يتمتع فيها بالانتماء الوثيق إلى أسرة معينة .

- أما إذا هبط المدينة بأسرته فسيجد أيضاً أن البيئة الحضرية تمارس تأثيرات فعالة في الأسرة، وتؤدي إلى إحداث بعض التغييرات الدقيقة فيها . ومن الأمور التي تؤثر حتماً في الأسرة كنظام اجتماعي . ضرورة التكيف مع الظروف الجديدة التي تواجهها في البيئة الحضرية، وازدحام المساكن الذي تجده الأسرة في المدينة . والتعرض لأسلوب الحياة الحضري الجديد. ومن شأن هذه المؤثرات بصفة عامة أن تعجل عملية تخلي الناس عن أساليب حياتهم القديمة . من هذا مثلاً أن يجد عضو الأسرة نفسه مضطراً تحت تأثير الضغوط المتزايدة إلى تكوين أنواع جديدة من الالتزامات التي لم يكن يعرفها من قبل في القرية وسيكون لتلك الالتزامات تأثيرها في أنماط الالتزام الأسري والقرابى التي كان يألفها في الماضي.

- ويتعرض المهاجر في المدينة لتناقص مستمر في رقابة الأسرة على أفرادها . ويزداد ذلك وضوحاً بصفة خاصة إذا كان الفرد قد قدم إلى المدينة منفرداً وليس عضواً في أسرة . ولكن حتى إذا كانت الأسرة بأكملها أو قطاع كبير منها قد هاجر مها إلى المدينة، فإن الفرد يدخل في ظروف تحمله تدريجياً على الاضطلاع بدور جديد داخل الأسرة، وقد يكون علاقات جديدة من شأنها أن تؤثر في علاقاته بسائر أفراد الأسرة وتحدها .

- وقد تنهار الأنماط التقليدية تحت وطأة البيئة الجديدة من هذا مثلاً أن الإجراءات المعتادة لتكوين علاقة الزوج بزوجته يمكن أن تتعدل تعديلاً كبيراً في البيئة الحضرية الجديدة . وقد يكون من نتائج ذلك أن الفرد بدلاً من أن يستعين بالطقوس والممارسات المعتادة المرتبطة باختيار شريط الحياة المقبل، قد يجد نفسه – خاصة إذا كان قد جاء إلى المدينة دون أسرته – متورطاً في مجموعة من العلاقات غير الرسمية مع أفراد من الجنس الآخر ليست عي علاقة الزواج التي كان يعرفها في الماضي . وإنما هي مجموعة من صور المعاشرة .

- والواقع أن الفرد بسلوكه هذا لا يعدل فقط من العادات الريفية التي اعتادها، وإنما يمكن أن يورط نفسه في مجموعة من العلاقات الجنسية التي قد تكون ذات وطأة شديدة على عاداته الأخلاقية القديمة.

- أما النساء بصفة خاصة فيجدن أن البيئة الحضرية تعدل تعديلاً بعيد المدى من وضعهن . وأدوارهن وأوجه النشاط التي يمارسنها . أبرز هذه التغيرات تلك التغيرات القانونية والاقتصادية في علاقتهن مع باقي أفراد أسرهن . فقد تجد الزوجة أن القواعد القانونية المختلفة التي تمس النساء في المدينة يكون لها تأثيرها الهام في كيانها القانونية من هذا مثلاً أنها قد تصبح قادرة على حيازة ممتلكات حقيقية باسمها الخاص . فضلاً عن هذا نجد أنه بينما تعتبر الزوجات والأطفال في القرية مصدر قوة اقتصادية بسبب قدرتهم على العمل في الحقول ، نجدهم يمكن أن يصبحوا في المدينة عبئاً اقتصادياً بسبب نفقات إعالتهم .

- وقد تجد النساء أنفسهن – من ناحية أخرى – يتعرضن لتغيرات دقيقة . قد لا تكون ظاهرة . في علاقتهن بزواجهن . ويبدو أن الخبرة تشير – مثلاً إلى احتمال زيادة النمط الزواجي في علاقتهن بأزواجهن، لا مجرد السير المريح الذي كانت تكلفه نظم تكوين الزيجات في المجتمعات الريفية . ومن الممكن أن تتعرض مسئولياتهن والتزاماتهن تجاه أزواجهن لتغيرات جوهرية .

- كما قد تجد الأسرة الحضرية في البلاد النامية أن التزامات الضيافة قد تعدت بعض الشيء عن النماذج الريفية الأصلية . والمألوف على سبيل المثال أن تبدي الأسرة الحضرية كرم الضيافة لأي واحد من أبناء إحدى الأسر القريبة في القرى لدى وصوله حديثاً إلى المدينة ليجد مستقر له فيها . والمتوقع أن يجد له أقاربه الذين سبقوه إلى المدينة مكاناً له في نطاق الأسرة أو يقدموا له على الأقل الطعام والمسكن على أساس مؤقت أو لمدة طويلة لحين استقرار أحواله . وليس لمثل هذه الصيغة الإجبارية حدود قانونية، مما يترتب عليه احتمال أن تمتد إقامة كل قادم جديد من القرية إلى المدينة داخل هذا النسق لفترات طويلة من الزمن . ويعتبر هذا الالتزام بالاستضافة – من بعض نواحيه- غير جديد على ابن القرية القديم الذي تعود المشاركة في تحمل أبناء القرية .

- وقد ينطوي هذا الالتزام – من ناحية أخرى – على علاقة لازمة كل اللزوم للبقاء والاستمرار في البيئة الحضرية الجديدة وقد يكون دخل الأسرة الحضرية من الانخفاض بحيث يكون من اللازم استكمال هذا الدخل من خلال أي اسهامات، مهما تكون ضآلتها ، يقدمها المهاجرون حديثو الوصول

من الريف إلى المدينة . فهذه المعاملة التي توازي الإيواء والإطعام – سواء بمقابل أو بدون مقابل – تعتبر مهمة شاقة في البيئة الحضرية حيث لا تتيح ظروف المعيشة بصفة عامة أكثر من حجرة واحدة للأسرة نفسها ، ناهيك بالأشخاص الإضافيين .

- ونظراً لما ينطوي عليه ذلك من مزايا اقتصادية، نجد من الشائع تماماً أن تأوي الأسرة بعض الغرباء ويقدم لهم الإقامة الكاملة (أي السكن والطعام، أو السكن فقط) ، فيشاركوا الأسرة حياتها ومصيرها . وقد لا يكون هؤلاء الأشخاص مهاجرين من نفس المنطقة أو نفس القرية التي جاءت منها الأسرة، فيدخلون بذلك في صراعات محتملة راجعة إلى الإختلافات في البيئة وفي العادات الغذائية، وما إلى ذلك من أمور يضاف إلى كل هذا تيار الهجرة من الريف إلى المدينة، خاصة في البلاد النامية ، لا يتوقف أبداً ، بل إنه بالفعل يزداد اندفاعاً مع تقدم التصنيع والخدمات في المدينة . ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى إدخال أنماط أسرية جديدة إلى مجتمع المدينة . والأرجح ألا تستطيع تلك الأنماط الأسرية الجديدة الوافدة من الريف أن تتكيف بسرعة وبشكل كامل مع ظروف الحياة في المدينة . مما يترتب عليه ظهور العديد من ألوان الصراع والتوترات والمشكلات . ونضرب على ذلك مثالاً واضحاً هو احتفاظ أغلب الأسر المهاجرة إلى المدينة بنفس سلوكها الإنجابي الذي ألفته في الريف ، فيتراكم لديها عدد كبير من الأطفال ، بحيث تزداد حاجتها إلى مساكن أكثر اتساعاً، هذا في الوقت الذي تعاني فيه المدينة التي يعيشون فيها من مشكلة إسكان خطيرة مستفحلة.

- ويلخص بربز موقف الأسرة المهاجرة إلى المدينة في مجتمعات البلاد النامية بقوله :

- "يجب علينا عند النظر إلى سكان الحضر ... أن نتذكر دائماً أن المهاجرون يتدفقون على المدينة من أماكن لها ثقافتها الخاصة التي قطعت شوطاً بعيداً في سبيل الرقي والاكتمال . ويحمل هؤلاء المهاجرون الكثير من عناصر تلك الثقافة معهم إلى المدينة دون أن يدروا إلى أي حد سيحاولون رفضها والتخلص منها . وليس هؤلاء المهاجرون بالشخصيات التافهة التي لا وزن لها، ولا هم عجينة طيبة سهلة التشكيل . فهم يقدمون إلى المدينة مغلفين بغشاء من التراث القبلي الريفي وبأساليب مستقرة في السلوك وفي العمل، وأنماط محددة من الولاء والالتزامات ، والأوضاع الاقتصادية و الضبط، وقنوات الاتصال. وهي جميعاً أشياء ليس من السبل أن تموت في البيئة الحضرية . والواقع أن هذه العادات الاجتماعية تتدعم بشدة من خلال نوع البيئة التي يحتمل أن يهاجر إليها الفرد"

ولو أننا استعرضنا بالتفصيل – أنماط معيشة الأسرة في كل من الريف والمدينة . خاصة في مجتمعات البلاد النامية ، لاتضح لنا بكل جلاء أن الفرق الرئيسي بين الريف والمدينة يكمن في أن الأسرة الحضرية تفقد استقلالها التقليدي بشكل مستمر ومتزايد السرعة . فعلى حين نجد أن الأسرة الريفية – خاصة تلك التي يشتغل أبناؤها بفلاحة الأرض- تستطيع أن تحقق لأفرادها جانباً كبيراً من احتياجاتهم المعيشية والاجتماعية، وهو أمر ينعكس بوضوح في ازدياد التماسك الداخلي بين أعضائها، حيث أن المصالح الإقتصادية المشتركة تعمل على تدعيم الكيان الأسري وتقويته هذا في الوقت الذي نجد هذا التماسك الداخلي أضعف بكثير في الأسرة الحضرية، حيث لا تسيطر على أفرادها مصالح اقتصادية مشتركة، وإنما يخضع وجودها أولاً وأخيراً لنوع العلاقات الشخصية القائمة بين أعضائها. فهي تعتمد على البيئة الخارجية المحيطة بها في اشباع أغلب احتياجاتها، مما ينعكس بدوره على تنظيمها الداخلي، ويزيد حساسيتها كمؤسسة لما تعج به تلك البيئة الخارجية من مؤثرات وتيارات. وسوف نعود إلى زيادة هذه النقطة إيضاحاً على امتداد هذا الكتاب

ثانيا : الأسرة الممتدة :

- من الحقائق التي يجب أن نؤكدها في صدر حديثنا عن الأسرة الممتدة أنها تتفوق على سائر الأنماط الأسرية المعروفة في العالم الصناعي، العربي والشرقي على السواء، في درجة الاستقلال التي تتمتع بها. ويكمل تلك الملاحظة ملاحظة أخرى وهي أن الأسرة الممتدة التي كانت سائدة في العالم القديم (سواء في الحضارات الشرقية القديمة، أو في الحضارات الإغريقية والرومانية) تتفوق على كل الأشكال المعروفة حالياً من الأسر الممتدة (في بلاد العالم الثالث) فيما كانت تتمتع به من استقلال . وقد تجمعت لدى الدارسين المعاصرين طائفة كبيرة من الشواهد والأوصاف التي تدور حول الأسرة الممتدة القديمة ومن معالم الحياة فيها والعلاقات بين أطرافها . ويأتي على رأس تلك المصادر الكتابات والنصوص الأثرية والتاريخية عن العالم القديم، وأوصاف الكتاب المقدس، وبعض الكتابات التاريخية، الروائية أو الجغرافية، التي ترجع إلى عصور الإغريق والرومان الأقدمين ، كمؤلفات هوميروس وهيرودوت وغيرهما.

- الأسرة الإغريقية الممتدة
- الأسرة الممتدة في الهند القديمة
- الأسرة عند الأباتش (من الهنود الحمر)
- الأسرة الكبيرة تحت سيطرة الأخ الأكبر
- الأسرة الممتدة عند التاتالا (مدغشقر)
- الأسرة النوبية (نموذج من قرية غرب أسوان)

الأسرة الكبيرة تحت سيطرة الأخ الأكبر

- يظهر هذا الشكل من أشكال الأسرة الممتدة في أعقاب وفاة الأب الكبير (رب تلك الأسرة) ، حيث لا يتفرق الأخوة (بالمعنى الواسع لكلمة أخوة) وزوجاتهم وأولادهم، وإنما يستمرون في العمل والحياة معاً . ولا يكاد يتغير أي شيء في حياتهم سوى شخص رئيس الأسرة الكبيرة، أما فيما عدا هذا فالبيوت التي يعيشون فيها هي ، وكذلك الأرض التي يفلحونها، والمصالح التي يرعونها، ونظام تسلسل السلطة من المستويات الأعلى إلى المستويات الأدنى . يظل كل شيء تقريباً على حاله.

- وأهم سمات هذا الشكل أنه واسع الإنتشار في العالم القديم وفي عالمنا المعاصر على حد سواء. ويبدو أنه قد ظهر واستقر وترسخت جذوره في الحياة الاجتماعية منذ استقرار الإنسان في بقعة معينة، بعد أن تجاوز حياة التجوال والتنقل. ولذلك نجده من أوسع الأشكال الأسرية انتشاراً بين الفلاحين، سواء في أوربا في عصورها القديمة والوسطية، أو بين فلاحي العالم الثالث في الماضي والحاضر وعلى اختلاف مستويات تطورهم. غير أن هذا النظام قد لعب علاوة على ذلك الدور الزراعي الواضح (حيث يحافظ لفترة طويلة على تماسك التركة وعدم تمزقها وتبعثرها) ؛ لعب أدواراً أخرى في عالم النقل والتجارة. فقد تحولت بعض هذه الأسر – التي تقوم على سيطرة الأخ الأكبر- إلى مشروعات للنقل التجاري بين المناطق الريفية في أوربا في العصور الوسطى ومطلع العصور الحديثة .

- كما لعبت بعض تلك الأسر دوراً بارزاً في فجر الرأسمالية الغربية، حيث أنه من الواضح أن الفرد كان أضعف من أن يغامر بكل شيء في تلك المرحلة من النمو الاقتصادي الشديد التقلب المحفوف بالمخاطر. فكان اقتحامه هو وأخوته (وأسرته الكبيرة) ميداناً جديداً كان يضمن له سلفاً حداً أدنى من النجاح، أو تكون الأسرة له بمثابة الظهر على الأقل لو خابت مغامرته .. وهكذا . والأمر اللافت للنظر أن بعض قوانين البلاد الأوربية كانت تخطر في ذلك الوقت قيام مثل هذه التكتلات العائلة الاقتصادية، كما أن المناخ السياسي العام – حتى لو لم يكن هناك تشريع صريح ضدها – كان ينفر من مثل هذا الشكل من أشكال تركيز القوة . ومع ذلك فإن أي مشتغل بالمال أو الصناعة لا يعدم الوسائل التحتية التي تكفل له تحقيق غرضه، خاصة في مثل تلك المرحلة المبكرة من تطور نظام الحكومة والنظام القضائي بصفة خاصة . وهكذا قامت واتسعت هذه المشروعات الاقتصادية العائلية تحت سمع الدول وبصرها.

ولكن لا شك أن التطورات العالمية والمحلية المعاصرة في الدول الصناعية قد أدت إلى اخفاء هذا النمط من أنماط الأسرة الممتدة. فذهب وذهبت معه كل ملامحه . لأنه لم يعد يضطلع بما كان له من وظائف. إذ دخلت محل الأسرة الكبيرة القديمة الدولة والمؤسسات العامة تعطي الفرد كما هو متوقع منتقيا – مزدهراً إلى حد كبير في البلاد النامية التي كان معروفاً فيها في الماضر. وإن كانت بعض الكتابات قد أشارت إلى بعض رواسب بعيدة له في بعض أنحاء أوربا . من هذا مثلاً في منطقة البيرينية في معلقة الألب السويسرية ، وفي منطقة الألب الوسطى عامة وحتى الشرق وصولاً إلى البلقان

ثالثا :هل الفروق بين الأسرة القديمة والأسرة الحديثة مجرد قضية حجم؟

لقد تصور أصحاب كثير من الكتابات غير العملية في الأسرة (وكذلك – ومع الأسف – جانب من أصحاب المؤلفات العلمية) تصوروا خطأ أن الفرق بين أنماط الأسرة القديمة كانت تتميز بوجه عام بكبر الحجم، على حين أن الأسرة الحديثة تسير في طريق التقلص. حقيقة أننا لو تذكرنا الأنماط الأسرية التي قرأنا عنها في الصين القديمة أو عند بعض الشعوب المتخلفة لوجدناها تتميز عامة بكبر الحجم، وأن هذا الحجم يزيد على أي حال .

ويجب أن نحذر من الانزلاق إلى الاعتقاد بأن الشعوب القديمة والمتخلفة لم تعرف سوى الأشكال الكبيرة من الأسرة (الممتدة) أو المشتركة .. الخ، ذلك أن الشواهد التاريخية وكذلك الاعتبارات المنطقية تحملنا على الاعتقاد بأن تلك المجتمعات كانت تعرف إلى جانب الأشكال الكبيرة من الأسرة عالية (كانت تمثل غالبية الأسر في سير قليل من المجتمعات) من الأسر الصغيرة الحجم، التي تقتصر في الأساس على الزوجين وأولادهما المباشرين).

وعلاوة على هذا فإن وجود أسر كبيرة من نوع تلك التي يسيطر عليها الأخ الأكبر لا ينفي احتمال كون هذا الشكل يمثل مرحلة انتقال بين الكيانات

الأسرية الكبيرة (الممتدة المتعددة الأجيال) وتحلل تلك الوحدات إلى أسر نووية صغيرة مستقلة، وقد أشرنا إلى هذه الفكرة في أكثر من موضع من تحليلاتنا السابقة.

ثم أن هناك حقيقة قد تخفى أحياناً على أعين البعض، وهي أن الأسر الممتدة ليس حتماً أن تكون "كبيرة" الحجم، بل أنها يمكن أن تتقلص، فتكون صغيرة فعلاً أحياناً. ويصدق نفس الكلام على غيرها من الجماعات القرابية – كمثال- كانت في أغلب الأحيان تصل إلى أحجام متقلصة غاية التقلص بسبب الحروب التي لا تنقطع فيما بينها وبين العشائر الأخرى.

وهناك ظاهرة تاريخية أخرى مثيرة للاهتمام شهدتها الإمبراطورية الرومانية القديمة، كما شهدتها وتشهدها مجتمعات أخرى. وذلك أنه من الممكن أن يحدث بعد تقلص الأسرة وتشتتها إلى أسر نووية مستقلة عن بعضها؛ من الممكن أن تنمو حول إحدى تلك الأسر النووية فيما يعد أشكال أسرية جديدة ممتدة. فنحن نعرف أن انهيار الإمبراطورية الرومانية قد انعكس – في جانب منه- في نمو الأسرة الممتدة حول النوايا الأسرية الصغيرة.

أسئلة المحاضرة السادسة

١- تحدثي / تحدث بالتفصيل عن انماط الاسرة في العصر الحاضر.

٢- ((الفرق بين الأسرة القديمة والأسرة الحديثة ليس مجرد حجم))

اشرحى العبارة السابقة بالتفصيل.

الاجابة النموذجية على السؤال الأول

ان المجتمع الإنساني يحفل بصور شتى من التنوع في جوانب حياته الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والدينية والثقافية . لذا فمن المنطقي أن نتوقع إزاء ذلك تنوع أنماط الأسر الإنسانية بصفة عامة. وبذلك فاننا نستطيع تلخيص هذا الموضوع في النقاط التالية:

١- أنه لا يوجد مجتمع (ذو حجم معقول) على وجه هذه الأرض يقتصر على نمط واحد فقط من الأسر، فكل مجتمع يعرف في نفس الوقت أكثر من نمط من أنماط الأسرة .

٢- أن كل نمط من أنماط المجتمعات القائمة في عالم اليوم لديه نمط معين سائد من أنماط الأسرة، على حين تعد الأنماط الأخرى الموجودة أنماط فرعية أو ثانوية .

٣- أن كل نوع أنواع المجتمعات يعرف نمط أسرياً رئيسياً إلى جانب طائفة من الأنماط الأسرية الفرعية .

٣- أن بلاد العالم الثالث تتميز بقدر من التنوع فيما بينها يفوق بكثير التنوع الموجود داخل المجتمعات الصناعية الرأسمالية والمجتمعات الصناعية الاشتراكية.

٤- تتسم المدن المعاصرة بالتنوع النسبي في انماط الاسرة . اذ يتجلى هذا التنوع أولاً وأساساً في اختلاف أنماط الأسرة السائدة في الطبقات الاجتماعية المختلفة . ويظهر بعد هذا في التنوع الأسري في القطاعات المهنية المختلفة، إذ لا شك ان الإطار الاقتصادي لحياة رب الأسرة والأفراد الذين يساهمون في اعالتها يؤثر بشكل مباشر في نمط هذه الأسرة.

٥- بعد انتقال الاسرة من الريف الى المدينة يجد عضو الأسرة نفسه مضطراً تحت تأثير الضغوط المتزايدة إلى تكوين أنواع جديدة من الالتزامات التي لم يكن يعرفها من قبل في القرية وسيكون لتلك الالتزامات تأثيرها في أنماط الالتزام الأسري والقرابى التي كان يألفها في الماضي. ويلخص بربز موقف الأسرة المهاجرة إلى المدينة في مجتمعات البلاد النامية بقوله :

"يجب علينا عند النظر إلى سكان الحضر ... أن نتذكر دائماً أن المهاجرون يتدفقون على المدينة من أماكن لها ثقافتها الخاصة التي قطعت شوطاً بعيداً في سبيل الرقي والاكتمال.

٦- يكمن الفرق الرئيسي بين الريف والمدينة في أن الأسرة الحضرية تفقد استقلالها التقليدي بشكل مستمر ومتزايد السرعة . فعلى حين نجد أن الأسرة الريفية – خاصة تلك التي يشتغل أبناؤها بفلاحة الأرض-

تستطيع أن تحقق لأفرادها جانباً كبيراً من احتياجاتهم المعيشية والاجتماعية، وهو أمر ينعكس بوضوح في ازدياد التماسك الداخلي بين أعضائها.

٧- يختلف الموقف في البلاد الاشتراكية، حيث أدى سيطرة الاتجاهات الجماعية في العمل الزراعي إلى القضاء على كافة الأشكال التقليدية من الأسرة دفعة واحدة وفي فترة زمنية وجيزة. وظهر نمط جديد من التنظيم الجماعي (في المزارع الجماعية) الذي يقوم على صورة معينة معدلة من الأسرة النووية . ولم يعد هذا التنظيم الاجتماعي الاقتصادي مكان للأشكال القديمة السابقة على عصر التصنيع أو بالأحرى السابقة على عصر الثورة الاشتراكية

الاجابة النموذجية على السؤال الثاني

تصور أصحاب كثير من الكتابات غير العملية في الأسرة (وكذلك – ومع الأسف – جانب من أصحاب المؤلفات العلمية) خطأ أن الفرق بين أنماط الأسرة القديمة كانت تتميز بوجه عام بكبر الحجم، على حين أن الأسرة الحديثة تسير في طريق التقلص. وهذا غير صحيح اذا ما نظرنا الى الشواهد التالية :

١- أن الشواهد التاريخية وكذلك الاعتبارات المنطقية تحملنا على الاعتقاد بأن المجتمعات القديمة كانت تعرف إلى جانب الأشكال الكبيرة من الأسر بعض الأسر الصغيرة الحجم، التي تقتصر في الأساس على الزوجين وأولادهما المباشرين).

٢- إن وجود أسر كبيرة من نوع تلك التي يسيطر عليها الأخ الأكبر لا ينفي احتمال كون هذا الشكل يمثل مرحلة انتقال بين الكيانات الأسرية الكبيرة (الممتدة المتعددة الأجيال) وتحلل تلك الوحدات إلى أسر نووية صغيرة مستقلة.

٣- أن الأسر الممتدة ليس حتماً أن تكون "كبيرة" الحجم، بل أنها يمكن أن تتقلص، فتكون صغيرة فعلاً أحياناً. ويصدق نفس الكلام على غيرها من الجماعات القرابية – كمثال- كانت في أغلب الأحيان تصل إلى أحجام متقلصة غاية التقلص بسبب الحروب التي لا تنقطع فيما بينها وبين العشائر الأخرى.

٤- من الممكن أن يحدث بعد تقلص الأسرة وتشتتها إلى أسر نووية مستقلة عن بعضها؛ان تنمو حول إحدى تلك الأسر النووية فيما يعد أشكال أسرية جديدة ممتدة.

وهذا ما يثبت ان الفروق بين الأسرة القديمة والأسرة الحديثة ليس مجرد حجم.